

المزهر في علوم اللغة وأنواعها

(فيا رب فاترك لي جُهَيْمَةَ - أَعْمُرًا ... فَمَالِكُ موتٍ بالقضاء دَهَانِي) - الطويل
- هذا رجل مات نساؤه شيئاً فشيئاً فتطلّم من مَلَاك الموت .

وحقيقة لفظه غلط وفساد وذلك أن هاذ الأعرابي لما سمع يقولون مَلَاك الموت وكثير ذلك الكلام سبق إليه أن هذه اللفظة مركبة من ظاهر لفظها فصارت عنده كأنها فعل لأن ملكاً في اللفظ في صورة فَلَكَ وِجَلَاكَ فبنى منها فاعلاً فقال : مَالِكُ موتٍ وعدّى مالكاً فصار في ظاهر لفظه كأنه فاعل وإنما مالك هنا على الحقيقة والتحصيل ما فل كما أن مالكاً على التحقيق مَفَل وأصله مَلَاكُ فألزمت همزته التخفيف فصار ملكاً .

فإن قلت : فمن أين لهذا الأعرابي مع جفائه وغلط طبعه معرفةُ التصريف حتى يبني من ظاهر لفظ مَلَاكَ فاعلاً فقال مالك .

قيل : هَبْهُ لا يعرف التصريف أتراه لا يحسن بطبعه وقوّة نفسه ولطف حسه هذا القَدْر ! هذا ما لا يجب أن يعتقده عارف بهم آلفٌ لمذاهبهم لأنه وإن لم يعلم حقيقة تصريفه بالمَصْنُوعَةِ فإنه يجدها بالقوّة ألا ترى أن أعرابياً بايَع على أن يشرب عُلابية لبن لا يتنحج فلما شرب بعضها كدّسه الأمر فقال : كبش أملح فقيل له : ما هذا تنحنحت ! فقال : من تنحنج فلا أفلح أفلا تراه كيف استعان لنفسه ببحّة الحاء واستترّ وَح إلى مُسْكَةِ النفس بها وعلّلها بالمُؤَيِّتِ اللاحق في الوقت لها ! ونحن مع هذا نعلم أن هذا الأعرابي لا يعلم أن في الكلام شيئاً يقال له حاء فضلاً عن أن يعلم أنها من الحروف المهموسة وأن الصوت يلحقها في حال سكونها والوقف عليها ما لا يلحقها في حال حركتها أو إدراجها في حال سكونها في نحو بحر ودحن إلا أنه وإن لم يحسن شيئاً من هذه الأوصاف مَصْنُوعَةِ ولا علماً فإنه يجدها طبيعة ووهماً فكذلك الآخر لما سمع ملكاً وطال ذلك عليه أحسّ من ملك في اللفظ ما يُحسه في جَلَاكَ فكما أنه يقول أسود حالك قال هنا من لفظ ملك مَالِكُ وإن لم يدّر أن مثال ملك فَعَل أو مَفَل ولا أن مالكاً فاعل أو ما فل ولو بنى من ملك على حقيقة الصنعة فاعل لقل لائك كبائك وحائك .

قال : وإنما مكّنت القول في هذا الموضوع ليَقْوَى في نفسك قوّة حس هؤلاء